﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر: 61]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

هـذه الآيـةُ هي الوجـهُ المُقابِلُ للآيةِ قبلَها

لَمّا بيَّن تعالى حالَ أهلِ الكذِب على الله، والذين رفضوا دعوةَ ربِّهم، وجزاءَهُم يومَ القيامةِ؛ بيَّنَ في هذه الآية ثوابَ الذين استجابوا لربِّهم، وأنابوا، وأسلموا، واتَّبَعوا أحْسَنَ ما أنْزَل إليهم، على عادةِ القرآنِ في شَفْعِ ذِكْرِ أهلِ الكُفْرِ بذِكْرِ أهلِ الإيمانِ، والعكسُ كائنٌ فيه أيضًا، وفي ذلك هنا ترغيبٌ في حالِ المُتَّقين؛ لأنَّ الأشياءَ تتبيَّنُ بأضْدادِها[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾: (فوز) يدلُّ على أصلَيْنِ مُتضادَّيْنِ، أحدُهما النَّجاةُ، والأخرى الهَلَكةُ، فالأولَى قولُهم: فاز يفوزُ فوزًا؛ إذا نجا، وهو فائزٌ، وفازَ بالأمر؛ إذا ذهَب به، وخلَص، ويُقال لمَن ظفَر بخيرٍ، وذهَب به، كما قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: 185]، والفَوْزُ الظَّفَرُ بالخيرِ معَ حُصولِ السَّلامَةِ، والمَفازَةُ مصدرُ فازَ، والاسْمُ الفَوْزُ، والمقصودُ بالمَفازَةِ هنا الفوزُ مُرادًا به العملُ الصّالحُ على سبيلِ المجازِ المُرْسَلِ، أو الهلاكُ مُرادًا به العملُ الحَسَنُ، على سبيلِ المجازِ المرسلِ أيضًا[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

هـذه الآيـةُ مِن تمامِ ما قبلَها، كأنَّها جزءٌ منها

تُقرِّرُ هذهِ الآيةُ حالَ الَّذين أنابوا لربِّهم، وأسلموا له، واتَّبَعوا

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 539، وأبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 385.
(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (فوز)، والراغب، المفردات، ص: 386 - 387، والبقاعي، نظم الدرر: 6/ 466، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 52، وأبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 387 - 388.

أحْسَنَ ما أنزَل إليهم ربُّهُم، وأنَّ الله نجّاهُم مِن أهوالِ يوم القيامةِ فائزينَ بنعيم الله في الجِنانِ، دونَ أنْ يَمَسَّهُم العذابُ والحُزْنُ الذي يُحيطُ بالذين كذَبوا على الله ورسولِه.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سِرُّ الوَصْلِ بالواو:

الأهـوالُ المُعْتَدُّ بها أهـوالُ يومِ القيامة

ما بعدَ الواو في قولِه تعالى: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ معطوفٌ بها على جملة: ﴿تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ المُقيَّدِ بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، فتكون تنجيتُهم مقيَّدةً بهذا القيدِ أيضًا، أي: ويُنجّي الله الذين اتَّقَوا مِن جهنَّم؛ لأنَّهم ليسوا بمُتكبِّرينَ، وذهب بعضُ المفسِّرين إلى أنَّ هذا العطفَ مِن عطفِ جملةٍ على جملةٍ، لا على ﴿تَرَى﴾، أي: إنَّ مجموعَ المعطوفِ معطوفٌ على مجموع المعطوفِ عليه: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى﴾ الآية، إشارةً إلى أنَّ هذا فِعْلُهُ تعالى معهم في الدّارَيْنِ، وإشارةً إلى كثرة التَّنجية؛ لكثرةِ الأهوال كثرةً تفوتُ الحصرَ، وبينَ المُتعاطفَيْنِ توسُّطٌ بينَ الكمالَيْنِ، فكلٌّ منهما خبرٌ في اللَّفظ والمعنَى، مع جامعِ التَّضادِّ بينهما[1].

بلاغةُ موقِعِ الآية:

السّورَةُ مُؤسَّسَةٌ على معالجةِ الكافِرِ، فهُم أجدرُ بالتَّقْديمِ

إذا كانَتْ آيةُ: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ هي فاصلةَ الحديثِ عن الَّذين استجابوا مِن أهل الإيمان، وكانَتْ آيةُ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾، هي فاصلةَ الحديثِ عن الذين لم يستجيبوا مِن أهل الكُفْرِ، وأنَّنا الآنَ في نِهايَةِ الفَصْلِ الذي بدأ بقوله تعالى: ﴿*قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: 53]، فلماذا قُدِّمَتْ فاصلةُ الذين لم يستجيبوا على فاصلة الذين استجابوا؟ والجوابُ: أنَّ فاصلةَ الذين لم يستجيبوا جزءٌ مِن التَّحذيرِ الذي بدأ بقوله تعالى:

(1) البقاعي، نظم الدرر:/ 466، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 51 - 52.

﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ﴾ [الزمر: 56]، وهو تحذيرٌ كلُّه رحمةٌ؛ لأنَّ الله سبحانه يقولُ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ﴾ [الزمر: 54]، ﴿وَأَسۡلِمُواْ﴾ [الزمر: 54]، ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ﴾ [الزمر: 55]، قبلَ يوم الحسرة: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: 56]، وهذا مَحْضُ رحمةٍ، ثمَّ إنَّ الذين استجابوا دلَّتِ الآيةُ عليهم دلالةً غيرَ واضحةٍ وُضوحَ الدَّلالة على الذين لم يستجيبوا، وموضِعُ الدَّلالة هو قولُه تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا﴾، ولم تأتِ آياتُ اللهِ قومًا إلّا وكانَ منهُم مُستجيبٌ، وما أرسَلَ ربُّنا مِن رسولٍ إلّا ليُطاعَ بإذنِ اللهِ، هذا مَوْقِعُ هذهِ الآيةِ في سياقِها[1].

دلالة المضارعة في قوله: ﴿وَيُنَجِّي﴾:

المضارعةُ تكشفُ عظمةَ معنى الفعلِ على القراءتَيْنِ جميعًا

نظَم القرآنُ معنَى النَّجاة فعلًا مضارعًا في قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي﴾؛ دلالةً على تجدُّدِ كلٍّ مِن الإنجاءِ والتَّنْجيةِ بتجدُّدِ الأحوالِ والأزمانِ والأمكنة، مِن الموت، وأهوالِ القبور، وأهوالِ البَعْث، وأهوالِ الموقف، وأهوالِ الصِّراط، وأهوالِ الحسابِ إلى آخِر ذلك، ففي المضارعةِ تمهيدٌ قويٌّ للتَّعبير بالمفازة في قوله تعالى: ﴿بِمَفَازَتِهِمۡ﴾[2].

علَّة التَّعبير باسم الجلالة مُظْهَرًا:

سبحان مَن يُبْعِدُ ناسًا بجلالِه، ويُقرِّبُهم بجلالِه

أظهر القرآنُ الاسم الأجل، ولم يُضْمِره؛ للزّيادةِ في تعظيم حال أهلِ التَّقْوى، وتسكينِ قلوبهم، وللإبلاغِ في تقرير أنَّ ما في القيامة مِن أهوالٍ لا يُنَجّي منها إلّا اللهُ، وأنَّه سبحانه لا يُنجّي منها إلّا أولياءَه، وحسَّنَ الإظهارَ في موضِعِ الإضمارِ اختلافُ حالِ المُحدَّثِ عنه في الآيةِ، وهم الذين اتَّقوا، عن حالِ المُحدَّثِ عنه في الآيةِ السّابقةِ، وهم الذين كذبوا على الله، وهم المتكبِّرون.

بلاغة التَّعبير بالموصوليَّةِ:

قولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ اسمُ الموصولِ مفعولُ الفِعْلِ في قوله

(1) أبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 386.

(2) أبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 387 - 388.

بلَغ النّاجونَ في التَّقوى كلَّ مبلَغٍ مُمْكِنٍ لهُم

تعالى: ﴿وَيُنَجِّي﴾، وقولُه: ﴿ٱتَّقَوْاْ﴾: جملةُ الصِّلةِ، لا محلَّ لها من الإعرابِ، وكانَ المفعولُ لفظَ الجَمْعِ المُذكَّرِ؛ ليقابِلَ نظيرَه في الآية السّابقة: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾، فحالُ جماعةٍ يُخالِفُ حالَ جماعةٍ، والجماعةُ المُفضَّلةُ محلُّ الاتِّساءِ والاقتداءِ للجماعةِ المُفَضَّلِ عليها، وتغليبُ الذُّكورِ على الإناثِ؛ لبيانِ شرَفِ هذه الجماعة وعظمتِها ذُكورًا وإناثًا، واسمُ الموصولِ مُبْهَمٌ، توضِّحُه صِلتُه، ففي هذا تشويقٌ إلى معنى الصِّلةِ؛ ليقَعَ في نفس المُتلقّي موقِعَه المطلوب، ولفْتٌ إليه؛ لأنَّه مناطُ النَّجاةِ إنجاءً وتنجيةً، وفي نَظْمِ الاتِّصافِ بالتَّقْوى صلةً إشارةٌ إلى أنَّهم عُرِفوا، وشُهِروا بها، وفي هذا كلُّ مدحٍ لهم، وكلُّ ترغيبٍ في الاقتداءِ بهم.

علَّة التَّعبير بالتَّقْوى مادَّةً وصيغَةً:

مَن يَقي نفْسَه غضبَ ذي الجلالِ فهو الفائزُ

عرَّف القرآنُ النّاجينَ بصفةِ التَّقْوى في قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾؛ لأنَّها الألصقُ بمعنى النَّجاةِ من الأهوالِ، فهؤلاء قومٌ "بالُغوا في وِقايَة أنفسِهم من غضبِه، فكما وقاهُم في الدُّنْيا من المُخالَفاتِ حماهُم هناك من العقوبات"[1]، ومن فوائدِ التَّعبير بها: الإيذانُ بأنَّ التَّقْوى تُنافي الكِبْرَ؛ لأنَّ التَّقْوى كمال الخُلُق الشَّرعيِّ، وتقتضي اجتنابَ المَنْهيّاتِ وامتثالَ الأمرِ في الظّاهر والباطنِ، والكِبْرُ مرضٌ قلبيٌّ باطنيٌّ، فإذا كان الكِبْرُ مُلْقيًا صاحبَه في النّار بحُكْم قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾، فضدُّ أولئك ناجونَ منها، وهمُ المُتَّقون؛ إذِ التَّقْوى تَحولُ دون أسبابِ العقاب التي منها الكِبْرُ[2]، والقرآنُ نظَم معنى التَّقْوى فعلًا ماضيًا؛ لأنَّ السّياقَ لحكايةِ اتِّصافِهم بها، وهم في الحياة الدُّنْيا.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 466.

(2) البقاعي، نظم الدرر:/ 466، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 51 - 52.

سِرُّ حذفِ معمولي التَّنْجية والتَّقوى:

ذِكْرُ النَّجاةِ والتَّقْوَى معَ ضميمةِ الآيةِ السّابقةِ يُحْضِرُ المحذوفَ ويدلُّ عليه بقوَّةٍ

فِعْلُ التَّقْوى يتعدَّى بنفْسِه إلى مفعولٍ، لكنَّ القرآنَ حذَفَه في قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾، وكذلكَ حذَف فيه معمولَ الفِعْلِ: ﴿وَيُنَجِّي﴾، والتَّقديرُ: وينجي الله الذين اتَّقَوا الكذِبَ والتَّكبُّر والكُفْرَ والشِّرْكَ، مِن جهنَّم، وفي الحذفِ ميزةُ الإيجازِ، وهو مُؤسَّسٌ على بناءِ الآيةِ بناءً مِن شأنِه أنْ يَسْتَحْضِرَ الآيةَ السّابقةَ بقوَّةٍ، ففاصلةُ الآيةِ السّابقةِ: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾، وصدرُ هذه: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾، فكلٌّ مِن الإنجاءِ والتَّنْجيَةِ إنَّما يكونُ مِن جهنَّم، والاتِّقاءُ إنَّما يكونُ مِن الطُّرُقِ الموصِّلةِ إليها كالكذبِ والتَّكبُّرِ، قال أبو السعود: "﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ الشِّرْكَ والمعاصيَ، أي: مِن جهنَّم"[1]، فللمَحْذوفِ حُضورٌ قويٌّ ظاهرٌ في السّياقِ، فحُذِف؛ لكمالِ العِلْمِ به، وذهَب ابنُ عاشورٍ إلى أنَّ الفِعْلَ في قوله: ﴿ٱتَّقَوْاْ﴾ مُنزَّلٌ منزلةَ اللّازم؛ لا يُقدَّرُ له مفعولٌ[2].

معنى الباء، ودلالة التَّعبير بها:

في الاعتداد بالطّاعةِ ترغيبٌ للجميعِ فيها

قوله تعالى: ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾: جارٌّ ومجرورٌ متعلِّقٌ بالفِعْل في قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي﴾، والباءُ معناها هنا المُلابَسَة، أو السَّببيَّةُ، والمعنى: وينجي الله الذين اتقوا مُتلبِّسينَ بالفوز، أو بسبب ما حصَلوا عليه مِن الفوزِ[3]، والأعلى في سياقِ الكَرَم والإكرامِ الذي ابتدأ بالتَّعبير باسْمِ الجلالةِ حَمْلُ الباءِ على السَّببيَّةِ، وعلى هذا يكونُ القرآنُ قد احتفَل، واعتنَى بمفازتِهم احتفالًا عَليًّا واعتناءً بالغًا.

علَّة التَّعبير بالمفازة:

رُبَّ شقاءٍ يوصِّلُ إلى الفوزِ والسَّعادةِ

عبَّر القرآنُ بالمفازةِ في قوله تعالى: ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾؛ لأنَّها الأنْسَبُ بفِعْلِ التَّقْوى في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾؛ على أنَّ المرادَ بها

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 608.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 52.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 52.

اسمُ الفَلاةِ، أي: الهلاكُ، وذلك على سبيلِ المجازِ المُرْسَل؛ لعَلاقَةِ السَّببيَّة، ومعنى: ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾: "بسبب أنَّهُم عَدّوا أنفسَهُم في مفازةٍ بعيدةٍ مُخوِّفةٍ، فوَقَفوا فيها عن كلِّ عمَلٍ إلّا بدليلٍ؛ لئلّا يَمْشوا بغير دليلٍ، فيَهْلَكوا، فأدَّتْهُم تقواهُم إلى الفوز، وهو الظَّفرُ بالمراد، وزمانه ومكانه الذي سُمّيَتِ المفازةُ به تفاؤلًا؛ ولذلكَ فسَّر ابنُ عبّاسٍ - رضي الله عنهما - المفازةَ بالأعمالِ الحسَنةِ؛ لأنَّها سببُ الفوزِ، فقد سمَّى القرآنُ حياتَهُم مفازةً، ثم أرادَ بها العملَ الصّالحَ، ولأنَّها الأنْسَبُ للنَّجاةِ إنجاءً وتنْجيَةً في قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي﴾، على أنَّ معناها الفوزُ، وأنَّ المرادَ بالفوزِ العملُ الصّالحُ، على سبيلِ المجازِ المرسلِ أيضًا؛ لعَلاقَةِ المُسبَّبيَّة، وسُمّي العملُ الصّالحُ فوزًا؛ للإشارةِ إلى أنَّ العبدَ كلَّما زاوَل عملًا صالحًا يكونُ قد ظفر به، وفاز به؛ لأنَّ الفوز معناه الظَّفرُ والسَّبْقُ، فكلَّما جَرَى لسانُكَ بذِكْر اللّه تكونُ قد ظفِرتَ، وفُزتَ بهذا الذِّكْر، وهذا هو الذي فيه معنًى مِن قوله تعالى: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: 133]، ومِن قولِه سبحانه: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ [المطففين: 26]، وفي التَّعبير عن الطّاعة بالفوز معنًى آخَرُ، وهو أنَّ الطّاعةَ تُفْضي - لا محالةَ - إلى الفوز، وهذا هو معنى قولِه جلَّ شأنُه: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ﴾ [النساء: 147][1].

التَّوجيه البلاغيُّ لقراءتَي قولِه: ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾:

قرأ شعبة وحمزةُ والكسائيُّ وخلَفٌ قولَه تعالى: ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ بالألفِ على الجَمْع: (بمفازاتهم)، وقرأه الباقونَ بالإفراد: ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾، والمفازةُ مصدرُ فازَ يفوزُ فوزًا، والمفازةُ تزيدُ على دلالة المصدر الدَّلالةَ على الزَّمان والمكان، فالفوزُ عامٌّ في الأزمنةِ كلِّها والأمْكِنةِ كلِّها، والمرادُ القيامةُ، وقراءة الجَمْعِ تُحقِّقُ ذلك بالنَّصِّ

سبحانَ مَن وفَّقَ للصّالحاتِ، ومَن يجازي بها يومَ القيامةِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 466، وأبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 387 - 388.

عليه؛ إبلاغًا في تقريرِ كرمِ اللّه سبحانه وإكرامِه عبادَه الذين اتَّقوا، فهُم ناجون بمفازتِهم عندَ الموت، وناجون بمفازتهم مِن أهوالِ القبور، وناجون بمفازتهم مِن أهوال البَعْثِ، وناجون بمفازتهم مِن أهوال الموقف، وناجون بمفازتهم مِن أهوال الصِّراط، وأهوالِ الحساب، وغيرِ ذلك مِن الأهوالِ، كلُّ أولئكَ فيه نجاةٌ وفوزٌ[1]، وقال البقاعيُّ: وقُرِئَ بالجمعِ باعتبار أنواعِ المصدرِ، وذلك كلُّه بعناية اللّه بهم في الدّارَيْنِ، فمفازةُ كلِّ أحدٍ في الأُخْرَى على قدرِ مفازتِه بالطّاعاتِ في الدُّنْيا[2]، وقال ابن عاشور: إنَّ المصدرَ قد يُجمع، باعتبار تعدُّد الصّادر منه، أو باعتبار تعدُّد أنواعه، وكذلك تعدُّد أمكنة الفوز بتعدُّد الطَّوائف[3]، وقراءةُ الإفرادِ تَجْعَلُ للجميعِ مَفازةً واحدةً على التَّأويلِ بالجِنْسِ، والجِنْسُ فيه معنَى الجمعيَّةِ، وهذا الإفرادُ إشارةٌ إلى عظيمِ إكرامِ اللّه؛ إذ إنَّه يعتَدُّ بالقليلِ مِن طاعتِهم وأعمالِهم الصّالحةِ؛ لأنَّ أساسَها إخلاصُ العبادةِ للّه ربِّ العالَمينَ.

دلالةُ الإضافة في قولِه: ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾:

في الإضافة إبلاغٌ في الاعتدادِ بطاعة أهل التّقوى

أضاف القرآنُ المفازة إلى الضَّميرِ العائد على المتقين في: ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾؛ "لتعريفها بهم، أي: المفازة التي علِمْتُم أنَّها لهُم، وهي الجنَّةُ، كما في قوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣﴾ [النبأ: 31 - 33]."[4]، وفي الإضافة كمالُ اعتدادٍ بطاعتهم وبهم جميعًا؛ إبلاغًا في كرمِهم وإكرامِهم.

دلالة فَضلِ قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾:

فُصِلَتْ جملةُ: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ عمّا قبلَها: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

(1) الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص: 482، وأبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 387.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 466.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 52 - 53.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 53.

حرارةُ الموقفِ تُغلي القولَ بالاستئنافِ البيانيِّ

﴿ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ﴾؛ لأنَّها وما عُطِفَ عليها تفسيرٌ وبيانٌ وتفصيلٌ لِما قبلَها، مِن النَّجاةِ والمَفازَةِ، فبينهما كمالُ اتِّصالٍ[1]، ويجوزُ أنْ تكون جوابَ سؤالٍ أثارَتْه جملةُ: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ﴾، وهو: ما فعَل في تنجيتهم؟ فقال: ذاكِرًا نتيجتَه: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾، ثم عطَف عليها جملة: ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾؛ فهي استئنافٌ بيانيٌّ[2]، ويجوزُ أنْ تُعْرَب حالًا مِن: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾، والمعنى على هذا: أنَّ اللَّه يُنجّيهم حالةَ كونِهم لا يمسُّهم السّوءُ، وكانتِ النَّجاةُ معنًى، وحالُ النَّجاةِ الذي هو نفيُ السّوءِ معنًى آخَر، وهذا الوجهُ أظهرُ؛ لأنَّ النَّجاةَ أوسَعُ وأشملُ مِن نفي مَسِّ السّوءِ ونفي الحُزْنِ، فكان معنا ثلاثة أخبار، خبرٌ هو الأصل، وهو: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ﴾، وخبرٌ مُلحق بهذا الخبر، وهو: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾، وخبرٌ ثالثٌ، هو جزءٌ مِن الخبر الثّاني، وهو: ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾، وهذه دلالة الجملة الحاليَّة، وليس الخبرانِ الثّاني والثّالثُ مُفسِّرَيْنِ للخبر الأوَّل، وإنَّما هو وصفٌ لحالِ وقوعِه[3].

معنى: ﴿لَا﴾ ودلالة التَّعبير بها:

خلودُ أهلِ التَّقْوَى لا شقاءَ فيه مطلقًا

قولُه تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ فيه نفيانِ، كلاهما بـ: ﴿لَا﴾، الأوَّلُ دخلَت فيه: ﴿لَا﴾ على الفعل المضارع، فخلَّصَتْه للاستقبال، بقرينةِ أنَّ ذلك النَّفي يكونُ يوم القيامة، ولهذا يصير معناه دوامَ النَّفي. والثّاني دخلَت فيه على الجملة الاسميَّة المُكوَّنةِ مِن مبتدأ، هو: ﴿هُمۡ﴾، ومِن خبرٍ، وهو: ﴿يَحۡزَنُونَ﴾، وحالُ النَّفْيِ بها فيه حالُه بها في الموضع الأوَّلِ؛ لجريانِ التركيبَيْنِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 608، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 53، وأبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 388.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 466.

(3) أبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 388، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 608.

في سياقٍ واحدٍ، ففي كلِّ أزمنة الآخرة وأمكنتها قبل دخول الجِنانِ، السّوءُ لا يمسُّهم، والحزنُ لا يلحقُهم، وكذلك ما داموا في الجِنانِ خالدينَ فيها، فالنَّفيُ ممتدٌّ في مستقبلٍ لا نِهايةَ له، وذلك كرمٌ وإكرامٌ عظيمٌ، والكلامُ عنهم في الآخرة؛ لأنَّ جملة: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ معطوفةٌ على جملة: ﴿تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾.

علَّة التَّعبير بالمَسِّ:

لا يلحقُ الذين اتَّقوا في الآخرة أدْنَى سوءٍ

جعَل القرآنُ المنفيَّ هو مَسَّ السّوءِ في قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾، والمَسُّ أقلُّ قدرًا مِن الإصابةِ، فإذا كانَ السّوءُ لا يمسُّهُم؛ فمِن باب أوْلَى لا يُصيبُهم، والمَسُّ يُقال فيما يكونُ معَه إدراكٌ بحاسَّةِ اللَّمْسِ، وفي كلِّ ما يَنالُ الإنسانَ مِن أذًى، والإصابةُ تدورُ مادَّتُها على نُزولِ شيءٍ واستقرارِه قرارَه[1]، فنفيُ الأدنى هنا يلزمُ منه نفيُ الأعلى، وهذا وصفٌ دقيقٌ لحالِ الذين اتَّقوا يوم القيامة، وأنَّ الله يُكرمُهم إكرامًا عظيمًا.

دلالةُ المضارعة في قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ﴾:

مُضارَعةُ المَسِّ تُحقِّقُ مُضارَعةَ النَّجاةِ

نظَم القرآنُ معنَى المَسِّ فعلًا مضارعًا في قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾، والفعلُ المضارعُ يدلُّ على التَّجدُّدِ والحُدوثِ، وهذا التَّجدُّدُ ناظِرٌ إلى تجدُّدِ المواقفِ والأهوالِ التي تَمَسُّ مَن يكونُ فيها بسوءٍ، أو يُمسُّ مَن يكونُ فيها بسوءٍ، مِن الموت والقبر والبعث والحشر والنَّشر والموقف والصِّراط والحساب، وغيرِ ذلكَ، وكذلك وهم في الجِنانِ؛ لكون مواقفِ النَّعيمِ وحالاتِ التَّمتُّعِ به مُتجدِّدَةً.

علَّة التَّعبير بالسّوء:

جعَل القرآنُ فاعلَ المَسِّ السّوء في قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ

(1) أبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 389، والراغب، المفردات: (مسس)، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (صوب).

ٱلسُّوٓءُ﴾؛ تنبيهًا على أنَّ الذين اتَّقوا لا يمسُّهُم شيءٌ مِمّا يَغُمُّ الإنسانَ من الأمور الدُّنْيويَّة والأخرويَّة، ومِن الأحوالِ النَّفْسيَّةِ والبدنيَّة، فما يُصيبُ الكافرينَ المُتكبِّرين الكاذبين، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النحل: 27]، لا يلحقُهم ألبتَّةَ، وذلك لأنَّ طريق وقايتهم ذلك عظيم جدًّا، وهو الإيمانُ باللّه، وإخلاصُ العبادةِ له تعالى، فكانوا أهلَ إحسانٍ، وهم في الحياة الدُّنيا، فكان جزاؤُهم إحسانًا إليهم، بألّا ينالهم السّوءُ.

مَـن أحْـسَـن في الدُّنيا لم يمسَّه السوء في الآخرة

بلاغة التَّعريف في ﴿ٱلسُّوٓءُ﴾:

نظَم القرآنُ فاعلَ المَسِّ مُعرَّفًا بـ(ال) في قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ للاستغراقِ؛ لأنَّ السّوءَ الَّذي يُلاحِقُ الإنسانَ مِن الموتِ إلى الانتهاءِ مِن الحسابِ والمَشْيِ على الصِّراطِ أنواعٌ كثيرةٌ جِدًّا، لا يكادُ بشرٌ يحصرُها، فَضْلًا عن أنواعِ السّوءِ التي تلحقُ الكافرَ والعاصيَ، وهو في النّارِ، وبنفي الأدنى الذي هو المَسُّ معَ استغراقِ جميعِ أنواعِ السّوءِ يظهرُ كمالُ فضلِ اللّه وإحسانِه على الذين اتَّقوا.

كلُّ ما هو سوءٌ ومـا الـسّـوءُ منـه بسبيلٍ؛ لا يَمَسُّ الذين اتَّقوا

نكتةُ تقديم جملة: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾:

قدَّم القرآنُ جملةَ: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ على جملة: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ لأنَّ الأصلَ ألّا يمسَّهُم السّوءُ الذي يُعذِّبُ اللّه به الَّذين كذَّبوا على اللّه، وتكبَّروا على آياتِه، وأمّا نفيُ الحزن عنهم؛ فمِن تمامِ ذلك، فنفيُ مَسِّ السّوءِ هو إنجاؤُهم، ونفيُ الحُزْن عنهم نفيٌ لأثَرِ المَسِّ بالسّوءِ؛ لأنَّ مَسَّ السّوءِ مِن شأنِه أنْ يُحْزِنَ[1]، ويجوزُ أنْ يكونَ ترتيبُ الجملتَيْنِ مِن بابِ تقديمِ التَّخْلية على التَّحلية، فنُفيَ المَسُّ بالسّوءِ أوَّلًا، فهذا سَلْبٌ ظاهرٌ، والمعنى معَه أنَّهم قد يكونون قد سُعِدوا بإعطائِهم ما تشتهيه نفوسُهُم، وأنَّهُم لم يُعْطَوا ذلك،

قُـدِّمَ نفيُ مَسِّ الـسّـوءِ؛ لأنَّ الأصـلَ إثـباتُ إحسانِهِم

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 608، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 53.

فلَمّا نُفي عنهم الحُزْنُ؛ دلَّ ذلك على أنَّهم قد أُعْطوه، وأنَّه لا حُزْنَ يلحقُهم لفواتِ شيءٍ يشتهونه، ويُحِبّونه، ويرغبونَ فيه، فلا يحزنون على فائتٍ؛ لأنَّهم لا يفوت لهم شيءٌ أصلًا.

دلالةُ وصْلِ قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

اتَّقوا الكُفْرَ والشِّرْكَ والكَذِبَ على الله، فوقاهُم الله السّوءَ والحُزْنَ

قولُه تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ معطوفٌ بالواو على قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾؛ لِما بينهما مِن التَّوسُّطِ بينَ الكمالَيْنِ؛ فكلٌّ منهما خبرٌ في اللَّفظِ والمعنَى، والمُحدَّثُ عنه فيهما واحدٌ، والواو لمُجرَّدِ الجَمْعِ دونَ ترتيبٍ، وهذا يعني أنَّهم يمكنُ أنْ يكونوا لم يمسَّهُم السّوءُ، ولم يحزنوا، ويمكن أنْ يكونوا، لم يحزنوا، ولم يمسَّهم السّوءُ، وهذا يُصوِّرُ نَفسيّاتِ أفرادِ أهلِ التَّقوى، فمِنهم مَن تُحِسُّ نفْسُه بعدمِ السّوءِ قبلَ الإحساسِ بعدمِ الحُزْنِ، ومنهم مَن تُحِسُّ نَفْسُه بعدمِ الحُزْنِ قبلَ الإحساسِ بعدمِ السّوءِ، وهذا يُلمحُ مِن طرَفٍ إلى كثرةِ أفرادِ أهلِ الإيمانِ والتَّقْوَى.

دلالةُ التَّصريحِ بنفي الحُزْنِ:

لقد أحْزَنَ الكاذِبونَ أهلَ الإيمانِ في الدُّنيا، فأسعَدَهُم الله في الآخرة

إذا كان الحزنُ المنفيُّ في قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ هو أثرُ عدمِ المَسِّ بالسّوءِ، فكان نفيُ الحُزنِ مُفْصَحًا مُصرَّحًا به؛ لأنَّ نَفْيَ أنْ يَمَسَّهُم السّوءُ يلزَمُه نفيُ الحُزْنِ عنهم، فإنَّ في ذلكَ إبلاغًا في تقريرِ جزائِهم ونجاتِهم وفوْزِهم؛ احتفالًا وفرَحًا بهم، وإذا كان المرادُ أنَّهم "لا يَطْرُقُ بواطنَهُم حُزْنٌ على فائتٍ؛ لأنَّهُم لا يَفوتُ لهم شيءٌ أصلًا"[1]؛ كانَ شيئًا غيرَ الحُزْنِ الذي هو نتيجةُ المَسِّ بالسّوءِ، وكان ذِكْرُه؛ لبيان شيءٍ آخَرَ مِن جزائِهم؛ ترغيبًا في التَّأسّي بهم بعدَ مدحِهم بذلك الجزاءِ تفصيلًا.

سِرُّ التَّفنُّنِ بالاسميَّة والفعليَّة:

صُدِّرت الجملةُ المنفيَّةُ الثّانيةُ بالاسم: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ لأنَّ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 466.

أهلَ النّار في حزنٍ وغمٍّ ثابتٍ لازمٍ لهُم، ومِن شأنِ الأكدارِ القلبيَّةِ دوامُ الإحساسِ بها، وأمّا جانبُ نفيِ السّوءِ؛ فجيء فيه بالجملةِ الفعليَّة: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾؛ لأنَّ ذلك لنفي حالةِ أهل النّار عنهم، وأهلُ النّار في مَسٍّ مِن السّوءِ مُتجدِّدٍ، وشأنُ الأسْواءِ الجسديَّةِ تجدُّدُ آلامِها[1].

أهل الجنَّة سالمون من العذاب الجسديِّ والنَّفسيِّ

دلالة المضارعة في ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

نظَم القرآنُ الحزن المُسْند إلى ضمير الذين اتَّقوا فعلًا مضارعًا في قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ لأنَّه مُؤسَّسٌ على نفيِ مَساسِهم بالسّوءِ المنظومِ فعلًا مضارعًا؛ فكلَّما تجدَّدَ لهم موقفٌ لم يُمَسّوا فيه بسوءٍ؛ تجدَّدَ لهم عدمُ لحاقِ الحزنِ بهم، وعلى أنَّ الحزنَ في قوله تعالى: ﴿يَحْزَنُونَ﴾ شيءٌ غيرُ الحزن الَّذي هو أثَرُ السّوءِ، فالمضارعةُ تشيرُ إلى أنَّهم لا يتجدَّدُ لهم حزنٌ على فائتٍ، كلَّما باشَروا نعيمًا في الآخرةِ قبلَ دخولِ الجنَّةِ، وبعدَ دخولِها.

الذين اتَّقوا لا يحزنون على الدَّوامِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 53.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 50 ، 822 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-81-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 50 : المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-81-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1291842 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»